

ثمرات انعقاد المجلس الحسيني وأدلتها مشروعيتها بالبكاء على الحسين عليه السلام

الخطيب أ.م.د. رزاق حسين العريايي الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين

ونحن نعيش هذه الايام أيام محرم الحرام، أيام عاشوراء، ذكرى ثورة الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، ابن الزهراء عليها السلام ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»^(١). وهو رَوْحٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»^(٢).

فنعيش أيام هذه الثورة المباركة التي قامت ضد نظام بني أمية المتمثل آنذاك بنظام الطاغية يزيد، شارب الخمر، اللاعب بالقرود والفهود، المعلن بالفسق والفجور، كما يروي المؤرخون . كابن حجر وغيره ^(٣).. ويكفي يزيد (لع) خزيماً وعاراً ما قاله ابنه (معاوية الثاني) عندما مات والده يزيد واصفاً إياه بقوله: «... ومن اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقلبه وقد قتل عترة الرسول، وأباح الخمر، وضرب الكعبة»^(٤). فنعيش أيام هذه الثورة التي قامت في مطلع العام ٦١ للهجرة النبوية الشريفة، بعد ان رفض الحسين عليه السلام بيعة يزيد الاجرام بالمدينة

المنورة مدينة جده ﷺ، وخرج الى مكة المكرمة لائذاً بها من جور بني أمية، حتى اذا وصل الى مكة المكرمة كاتبه اهل العراق وبالخصوص اهل الكوفة بقضهم وقضيضهم، طالبين منه المجيء اليهم ومعلنين رفضهم التام ليزيد ونظامه الجائر، وهم على اتم الاستعداد للانضواء تحت زعامة الحسين ﷺ وقيادته الحكيمة؛ ليُعيد بهم الى الاسلام الاصيل اسلام الحكومة الربانية، الحكومة المحمدية الاصلية حكومة جده المصطفى ﷺ.

وكان الجهاز المخبراتي والاستخباراتي يتابع حركة الحسين ﷺ عن كثب وإمعان خطوة بخطوة وساعة بساعة . اين وصل، ومتى وصل، ومن التقى به، ومن زاره ومن سلمَ عليه ومن كتب له.

وأخيراً قرر نظام الفجور ان يغتال الحسين ﷺ بأي حال كان ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، وعلم الحسين ﷺ بذلك فخاف من هتك حرمة الكعبة المقدسة، فقرر ان يخرج من مكة يوم الثامن^(٨) من ذي الحجة يوم التروية عام ٦٠ للهجرة النبوية الشريفة، قاصداً الكوفة من العراق . وعلم والي يزيد عبيد الله بن زياد، وهو المجرم الثاني في هذا النظام المتهتك فجهز جيشاً بقيادة (الحر بن يزيد)؛ ليصد الحسين ﷺ عن الوصول الى الكوفة، حتى أنزل الحسين ﷺ بأرض فلات، أرض عارية، أرض كربلاء . ويأخذ ابن زياد بأمر يزيد اللعين بتجهيز جيش جرار؛ لمحاصرة الحسين ﷺ وقتله هو ومن التحق به، وقتل كل من اراد الالتحاق به قبل وصوله الى الحسين ﷺ وإرعاب وإخافة الذين يميلون الى الحسين ﷺ، وجاءت الجيوش تترا الى كربلاء بعد ان وصلها الحسين ﷺ يوم الثاني من محرم الحرام بداية السنة الهجرية الجديدة من العام ٦١ هـ.

وتكاملت عدة تلك الجيوش يوم السابع من محرم الحرام التي بلغ عددها قرابة الثلاثين الفاً كما قال الامام السجاد علي بن الحسين ﷺ: (ازدلف اليه ثلاثون الف رجل يزعمون انهم من هذه الأمة...)^(٥). وحاصروا الحسين ﷺ

ومنعه وعياله وأطفاله وأهل بيته وأصحابه من الماء وأصابهم الظمأ من يوم السابع من محرم حتى ليلة الحادي عشر من محرم^(٦).. وقتلوهم تلك القتلة الشنيعة حتى الطفل الرضيع ورضوا الاجساد واحرقوا الخيام وقطعوا الرؤوس ورفعوها على اطراف الرماح وسبوا النساء والاطفال بعد ان قيدوهم بالحبال والاعلال، يطوفون بهم البلدان حتى اخذوهم الى عاصمة النظام الاموي دمشق الشام بتلك الحال المساوية التي ابكت كل عين وكسرت كل قلب .

ونحن اذ نعيش هذه الذكرى الأليمة الحزينة، وهذه الحال المساوية الفظيعة وهذا الانحطاط الشديد في نفوس المسلمين، اذ بَعْدُ لم تَبَلْ ملابس رسول الله ﷺ، وما زال صوت النبي ﷺ يُدوي في أسماعهم (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي) (٧)، وقوله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط» (٨).

أليست هذه نكبة تصيب المسلمين إذ يُقتل ابن بنت نبيهم ويُفعل به هذا الفعل الشنيع الذي تأباه كل المبادئ الانسانية فضلاً عن المبادئ الاسلامية، ولم ينكر منهم احد، الا افراد على عدد اصابع اليد، فأى انحطاط وصلت اليه النفوس، وأي موت ألمات تلك القلوب، وأي ذلٍ وخنوع عاشته تلك الجموع؟!

فنحن نرفض هذا الخنوع والذل وهذا الانحطاط السحيق أولاً، ونعلن عن ولائنا لرسول الله ﷺ ولآله وخصوصاً لولده الحسين عليه السلام ولوقوفه الأبي موقف العز والإباء موقف السمو والشموخ ثانياً . وانه ل يتم اعلان ولائنا ونصرتنا للحسين عليه السلام ورفضنا لانحطاط تلك النفوس وخنوعها وذلتها ولمن يمشي على ركبهم على مر الأزمان والدهور، رفضنا التام لذاك النظام الاموي المستهتر بكل مبدأ أقرته الأديان والإنسانية . ومن يسير على نهجه، وذلك عبر عدة موارد من أهمها هو ما يأتي:

عقد المجالس على الحسين عليه السلام وذكر ما جرى عليه وما اصابه ونبكي
ونتباكى على ذلك، وعقد هكذا مجالس تترتب عليها ثمرات متعددة :

ثمرات عقد المجالس على الحسين عليه السلام والبكاء عليه:

ان عقد المجالس على الحسين عليه السلام او البكاء عليه تترتب عليها ثمرات
متعددة من أهمها:

- اعلاناً منا عن الولاء والمحبة والنصرة للحسين عليه السلام ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله، وهو اعلان عن نصرته الاسلام ونصرة نبي الاسلام وهو جد الحسين عليه السلام.
- اعلاناً منا على السير على دينه ودين ابيه وجده المصطفى صلى الله عليه وآله مهما كلفنا من ثمن، والسير على هذا هو سير على مبادئ الاسلام الحق.
- بيان ما جرى عليه عليه السلام وعلى اهل بيته وصحبه وعياله وأطفاله من انتهاكات وجرائم مأساوية تتنافى مع كل المبادئ الانسانية والدينية وإدانتها بأشد إدانة وإيصالها الى كل الأجيال جيلاً بعد جيل .
- رفض الخنوع والذل والخضوع للظلم والاضطهاد مهما عظمت قوته واشتد ساعده.
- التمسك بمبادئ الدين والتضحية من اجله بالغالي والنفيس.
- التبري من النظام الاموي وممن يسير على دربه ونهجه؛ لأنه نظام جاهلي بلباس الاسلام.
- اظهار دجل الامويين وانحرافهم ونفاقهم وكيفية وحشيتهم وعدائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل فتح مكة وبعد استسلامهم بعد فتح مكة.
- كشف مؤامرات الأمويين ضد الاسلام والمسلمين .
- محاربة الظلم والظالمين وكل الأنظمة الطاغوتية والدكتاتورية مهما عظمت

شوكتها واستحكمت هيمنتها وسطوتها تأسيا واقتداء بالحسين عليه السلام؛ لأنه ثار ضد الحكم الاموي وكان الحكم الأموي دولة امبراطورية كبيرة يمتد سلطانها عبر قارتين (آسيا وأفريقيا) ولها هيمنة مستحكمة وسطوة غاشمة تسحق كل من يعارضها بكلمة، وعقد المجالس على الحسين عليه السلام تجعله حيا في القلوب ومبادئه التي ثار من أجلها وشعاراته التي هتف بها يوم عاشوراء كشعاره التي هتف به مثلا يوم عاشوراء «وان الدعى بن الدعى قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة...» كل هذا يكون مشعلا وهاجا في قلوب وضمائر أهل الإيمان بل في قلب كل إنسان يريد أن يتنفس عبر الحرية كما هتف به الحسين عليه السلام كونوا أحرارا في دنياكم .

أدلة مشروعية البكاء على الحسين عليه السلام :

لو قال لنا قائل كما قالوا : ان الاسلام لا يُجوز البكاء على الميت، وان البكاء على الميت يؤذيه فإن بكاءكم على الحسين يؤذيه ويُبعدكم عن رضا الله تعالى . فما هو جوابنا على هذه الشبهة او على هذا الاشكال ؟

والجواب على ذلك هو الآتي :

اولاً : نقول من قال لكم ان الاسلام لا يُجوز البكاء على الميت، فإنه لا دليل على ذلك .

ثانياً : لدينا أدلة كثيرة على اباحة البكاء وجوازه؛ بل على رجحانه واستحبابه لا على اباحته وجوازه فقط .

ودليلنا على نحوين: دليل قرآني ودليل سنّي.

وقبل ان ابدأ بعرض الادلة احب ان انبه ان البكاء حال غريزية في الانسان متأصلة، وليست حالً عارضة وهي تعبير عن صفة الرحمة؛ ولهذا نقرأ عند علماء

النفس والأخلاق انهم لم يجدوا بين الصفات الانسانية كلها صفة افضل واشرف من الرحمة ورقة القلب على الاخرين .

ولذا نجد القرآن الكريم يبين منة الله سبحانه ولطفه ونعمته على الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ان جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة، فهذا قرآننا الكريم ينطق عن الحكيم جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً...﴾^(٩)؛ ولذا استدعى هذا الامر بعض الفلاسفة ان يعدلوا عن تعريف الانسان بالحيوان الناطق الى أنه (حيوان ذو عطف) وعليه فلا إنسانية مطلقاً بدون العطف على مصائب الاخرين وبدون الرحمة والرقّة على آهات وأنات المظلومين . إذاً البكاء على المظلومين والشهداء وعلى رأسهم الحسين عليه السلام امر طبيعي وعقلاني وظاهرة فطرية في مقابل قسوة القلب والغلظة وموت الضمير . وهي اخطر الامراض النفسية المعبر عنها بموت القلب وقسوته . وهذا ما ينطق به القرآن الكريم كذلك، إذ هو يصف الانبياء و ذراريهم وأتباعهم اصحاب القلوب الحية المتنورة بالإيمان والتقوى بأنهم اذا سمعوا آيات القرآن الكريم يخرّون ساجدين باكين، يقول سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١٠).

فالبكاء إذاً حال طبيعية غريزية في الانسان تعبر عن صفة الرحمة والرقّة وعن حياة القلب دون قسوته وغلظته؛ ولذا نجد القرآن الكريم ينكل باليهود ويعبر عن تنكيله وذمه لهم بأنهم قساة القلوب يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١١).

ولنعد الى بيان ادلة اباحة وجواز البكاء؛ بل على رجحانه ومحبوبيته قرآناً

وسنة:

أولاً : الدليل القرآني على جواز البكاء على الحسين عليه السلام :

١- ما نص عليه القرآن الكريم من بكاء يعقوب لفراق ولده يوسف وهو حي في دار الدنيا حتى ذهب بصره وحتى قيل له ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (١٢). و(تفتؤ) أي لا تزال ومعناه انك دائماً تلهج بذكر يوسف عليه السلام (١٣). ﴿ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ و الحرض المرض والهزال والاشراف على الهلاك أي حتى تصير مريضاً مهزولاً مشرفاً على الهلاك، او المدنف الهالك من شدة الوجع (١٤)، أو يُذِيبُكَ الهم (١٥).

واما الآية التي سبقت هذه الآية أي آية ٨٤ من (سورة يوسف) تبين عمق الالم وشدته حتى فقد يعقوب عليه السلام من شدة بكائه على يوسف بصره . يقول سبحانه: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١٦). وبيضت عيناه : أي انقلب سواد عينيه بياضاً من كثرة البكاء (١٧)، أو انمحق سوادهما وبدا بياضاً من بكائه (١٨).

ولذا روى الطبري في تفسيره عدة روايات مسندة فيها : ان يوسف عليه السلام سأل جبرئيل ما بلغ من حزن ابيه يعقوب ؟ قال : حزن سبعين مثكلة او ثكلى ، والثكلى هي التي لديها ولد واحد ثم مات (١٩).

وروى الطبري في تفسيره ايضاً بسنده عن الحسن - وهو الحسن البصري - قال: كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب الى يوم رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه، حتى ذهب بصره (٢٠).. وانّ ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال له: أجنّت لتقبضني قبل ان أرى حبيبي؟ فقال: لا، ولكن جئت لأحزن لحزنك وأشجوا لشجوك (٢١).

وجاء في الكشاف و تفسير النيشابوري قيل : ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب (٢١).

وفي تفسير النيشابوري نقل ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف حينما كان في السجن فقال : ان بصر أبيك ذهب من الحزن عليك . فوضع يوسف يده على رأسه فقال : ليت امي لم تلدني، فلم اكن حزناً على ابي (٢٢).

فهذا يعقوب المتبع لملة جده ابراهيم عليه السلام قد بكى على فراق يوسف السنين المتطاولة حتى ابيضت عيناه، وابنه حي في دار الدنيا وقد أُعطي ملك مصر .

٢- بكاء يوسف عليه السلام على ابيه يعقوب على ما لقي من وجد على فراقه وتمنيه ان لم يولد - كما سمعت آنفاً في رواية الطبري - انه بكى لما كان في السجن ولم يلق اباه بعد . ورواية النيشابوري انه وضع يده على رأسه فقال ليت امي لم تلدني فلم اكن حزناً على ابي .

٣- حزن ملك الموت لحزن يعقوب، وشجواه لشجوه، كما مر آنفاً في رواية الرازي فملك الموت حزن ليعقوب لما بكى على ولده وهو حي في دار الدنيا .

وياهل ترى البكاء على الحي اولى من البكاء على الميت أو البكاء على الميت اولى! وأي ميت! هو وأي قتيل هو! وأي شهيد هو؟! هو الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب اهل الجنة كما قال الرسول صلى الله عليه وآله : (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة) (٢٣) . فانه لا يدل على جواز البكاء وحسب؛ بل يدل على رجحانه ومحوبيته؛ وذلك لأننا نقتدي بالرسول والأنبياء، كذلك نستدل به على استمراريته أي استمرار البكاء على الحسين عليه السلام؛ ذلك لأنه ما زال يعقوب عليه السلام بكى على ابنه ثمانين عاماً فاذا صح في الثمانين صح في المائة واذا صح في المائة صح في المائتين وهكذا في الالف وفي الالفين.

ولهذا استدل الامام زين العابدين عليه السلام على بكائه على ابيه الحسين عليه السلام كل تلك الفترة التي عاشها بعد ابيه الحسين عليه السلام ببكاء يعقوب عليه السلام على ولده يوسف عليه السلام وهو حي، فقد روى الرواة انه سأله احد اصحابه مشفقاً على الامام زين العابدين عليه السلام مما رآه من شدة وجده وبكائه على الحسين عليه السلام فقال : (يا سيدي

اما آن لحزنك ان ينقضي، ولبكائك ان يقل؟) فقال ﷺ له: (ويحك ان يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم ﷺ كان نبياً ابن نبي، كان له اثنا عشر ابناً، فغيب الله سبحانه واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيتُ ابي وأخي وسبعة عشر من اهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي؟!)(٢٤) وأحب أن أنبه إلى أنّ كل ما ذكرته من الروايات هي تفسيراً وتأييداً للدليل القرآني .

ثانياً : الأدلة على جواز البكاء على الحسين ﷺ من السنة النبوية الشريفة، والسنة هي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره:

١- الدليل الأول بكاء النبي ﷺ على عمه حمزة يوم احد لما استشهد:

جاء في السيرة الحلبية عن ابن مسعود قال : (ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً اشد من بكائه على حمزة، وضعه في القتلة، ثم وقف على جنازته حتى نشق - أي شهق حتى بلغ الغشي - يقول : يا عم رسول الله، وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله)(٢٥).

وذكر صاحب السيرة الحلبية : انه لما عاد النبي ﷺ الى المدينة سمع نساء الانصار يبكين على ازواجهن و ابنائهن و اخوانهن فقال ﷺ حمزة لا بواكي عليه. وبكى ﷺ - ولعله لم يكن لحمزة (ره) بالمدينة زوجة ولا بنت - فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بين المغرب والعشاء، كذلك اسيد بن حضير امر نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة - الى ان قال فلما رجع ﷺ من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا؟ فقال نساء الانصار يبكين حمزة. فقال النبي ﷺ : (رضي الله عنكن وعن اولادكن).

واخرج الحاكم وصحيحه عن جابر قال : (فقد رسول الله ﷺ حمزة حين فاء الناس من القتال فقال رجل : رأيته عند تلك الشجيرات وهو يقول انا اسد الله واسد رسوله اللهم ابرأ مما جاء به هؤلاء ابو سفيان واصحابه واعتذر اليك مما صنع هؤلاء بانهمهم) . فجاء رسول الله ﷺ نحوه فلما رأى جثته بكى ولما رأى ما مثل به شهق ثم قال... (٢٦)

وفي شرح النهج لابن ابي الحديد قال : يعني الواقدي : وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم يعني قتلى احد بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعوا (٢٧).

ولا شك ان استمرار ذلك منها كما تدل عليه العبارة كان باطلاع رسول الله ﷺ ورضاه وتقديره، فدل فعل النبي ﷺ للبكاء وتقديره للباقيات على جوازه وعلى جواز رفع الصوت به، كما هو معنى البكاء بالمد، وكما يدل عليه حصول الشهيق منه ﷺ .

ونساء الانصار انما كن يبكين مع الصوت ولذلك سمع النبي ﷺ بكائهن، وحسبك بقول النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له، - رغم ان مفاد الروايات انه كانت لحمزة بنتاً في المدينة اسمها فاطمة التي جاء بها علي ﷺ في بداية الهجره مع ركب الفواطم - حثاً على البكاء على حمزة من قبل نساء المسلمين؛ لبيان اهمية هذا البطل الضرغام اسد الله وأسد رسوله. و اظهاراً للمحبة له. فالفعل والقول والتقدير منه ﷺ متظافرة على جواز البكاء ولو مع الصوت ورجحانه المؤكد.

وقد استمر البكاء على حمزة من قبل النساء في المدينة المنورة حتى صار الحال اذا اردن البكاء على امواتهن يبكين اولاً على حمزة ﷺ بعد سماعهن قول النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له . وهذا ما ذكره صاحب الاستيعاب قال: ذكر الواقدي قال لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله ﷺ لكن حمزة لا بواكي له

الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها (٢٨). وهذا في عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من غير نهي عنه وإلا لنقل لنا دليل واضح على ان الجواز والرجحان لم يكن مختصا بالوقت من الوفاة؛ بل يعم جميع الازمان، ولو كان زمن الموت بعيداً، على انه اذا كان جائزاً وراجحاً فلا يتفاوت الحال بين الازمان لعدم الفارق بينها.

٢- الدليل الثاني: على مشروعية البكاء وهو :

بكاء النبي ﷺ على ابن عمه جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة، وبكاء الزهراء ﷺ على عمها جعفر وندبها له بحضور ابيها واستحسانه ذلك . فقد اخرج البخاري في صحيحه عن انس بن مالك قال : قال النبي ﷺ أخذ الراية زيد فأصيب، ثم اخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحه فأصيب، وان عيني رسول الله ﷺ لتذر فان (٢٩) .

وجاء في الاستيعاب في ترجمة جعفر بن ابي طالب : ولما اتى رسول الله ﷺ نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه، فقال رسول الله ﷺ: (على مثل جعفر فلتبك البواكي) (٣٠). ففيه تقرير لفاطمة ﷺ على بكائها وندبها لجعفر بقولها: واعماه، واستحسان لذلك وحث عليه بقوله ﷺ: على مثل جعفر فلتبك البواكي، فإنه امر وحث على البكاء على جعفر وأمثال جعفر من عظماء الرجال بأبلغ عبارة .

٣- الدليل الثالث : بكاء النبي ﷺ على ولده ابراهيم ﷺ :

جاء في المستدرک على الصحيحين بسنده عن عطاء عن جابر عن عبدالرحمن بن عوف (رض) قال : ثم اخذ النبي ﷺ بيدي فانطلقت معه الى ابراهيم ابنه وهو يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ في حجره حتى خرجت نفسه قال فوضعه وبكى، قال: فقلت: تبكي يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء قال ﷺ: اني

لم انه عن البكاء ولكني نهيت عن صوتين أحققين: ثم نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت، ثم مصيبة لطم وجوه وشق جيوب وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يُرحم، ولولا انه وعد صادق وقول حق وان يلحق أولانا بأخرانا لحزننا عليك حزناً اشد من هذا وإنما بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الرب (٣١). وجاء في سنن ابن ماجه يسنده عن انس بن مالك شبيه بهذا (٣٢).

فقد ظهر لك من الحديث المتقدم قول الرسول ﷺ انه لم ينه عن البكاء كما زعم المخالف، وان البكاء رحمة ومن صفات المؤمن الرحمة لا القسوة .

وقول الرسول ﷺ من لا يرحم لا يُرحم . فإذا اخذتك الرحمة على ابي عبد الله عليه السلام ابن رسول الله ﷺ وتذكر ما جرى عليه وتبكي رحمة لها أتكون مبتدعاً بعد كل ما سمعت فيا للعجب؟ ام يريد المخالفون لنهج محمد ﷺ ان نسدل الستار على جرائم بني امية؟

٤- الدليل الرابع: على جواز البكاء ومحبوبيته على الحسين عليه السلام هو بكاء النبي ﷺ على قبر أمه:

روى مسلم في صحيحة بسنده عن ابي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله... (٣٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم : رواه ابو داوود في سننه بهذا الاسناد، ورواه النسائي، ورواه ابن ماجه وهؤلاء أي الذين رَوَوْا عنهم كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك (٣٤). فهذا بكاء رسول الله ﷺ على أمه وإقامته المأتم عليها بعد عشرات السنين، حتى بكى وأبكى اصحابه وهي باعتقاد الخصم كافرة . فكيف اذن بالبكاء على الحسين عليه السلام . واخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال خرج النبي ﷺ يوماً الى المقابر فجلس الى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فقال : ان القبر الذي جلست عنده قبر امي واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي فأنزل علي ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٣٥﴾ .

٥- الدليل الخامس: على جواز البكاء على سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام هو نهي النبي صلى الله عليه وآله عن منع النساء عن البكاء:

اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس حديثاً ذكر فيه موت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله - الى ان قال - وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه . فقال النبي صلى الله عليه وآله لعمر : دعهن يبكين - الى ان قال - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة - الى ان قال - وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي فجعل النبي صلى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها (٣٦).

٦- الدليل السادس: على جواز البكاء على الحسين عليه السلام ورجحانه ومحبوبيته:

ما ورد من بكاء النبي صلى الله عليه وآله لأجل هذه المصيبة قبل وقوعها، فيدل على جوازه بعد وقوعها للقطع بعدم الفرق، بل بطريق الأولوية، لان المصيبة بعد وقوعها اعظم وأفجع . وقد بكاه بمجالس متعددة، وهو حث منه صلى الله عليه وآله على البكاء على الحسين عليه السلام وكأنه صلى الله عليه وآله يبرق برقية لأجيال المسلمين اني بكيْتُ على مصيبة الحسين عليه السلام قبل وقوعها؛ لأنني أرحل الى ربي عز وجل قبل وقوعها، فلو كنت حاضراً مصيبته لقعدتُ للجزاء كما يقول السيد الشريف الرضي:

لو رسول الله يحيا بعده قَعَدَ اليومَ عليه لِلْعِزَا

وقد بكاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعدة طرق اذكر واحدة منها للإيجاز والاختصار:

١- ما ذكره الشيخ ابو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه اعلام النبوة فقال ما لفظه : ومن انذاره صلى الله عليه وآله ما رواه عروة عن عائشة قالت : دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى اليه، فبرك على

ظهره وهو منكب، ولعب على ظهره فقال جبرئيل : يا محمد ان امتك ستفتن بعدك، ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأثأه بتربة بيضاء وقال : في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف .

فلما ذهب جبرئيل عليه السلام، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى اصحابه والتربة في يده وفيهم أبوبكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبكي، فقالوا ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله اخبرني جبرئيل : ان ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني ان فيها مضجعه ^(٣٧)، ولاشك ان اصحابه لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما يجري على ولده الحسين وهو باكي العينين قد بكوا لبكائه . أليس هذا شبيه ما بالماتم الذي نقيمه على الحسين عليه السلام وهو ان نذكر ما جرى عليه ونبكي تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وآله ونحن مأمورون بالتأسي به صلى الله عليه وآله ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ .

اخبرنا محمد بن الحسن بن الفتح الصوفي حدثنا ابو عروبه الحراني حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا ابن عمي احمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه عن عائشة وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وآله دخل عليهما وهو يبكي، قالتا: فسألناه عن ذلك، فقال: ان جبرئيل اخبرني ان ابني الحسين يقتل، وييده ترته حمراء فقال هذه ترية تلك لأرض ^(٣٨).

والأدلة على جواز البكاء كثيرة جداً منها بكاء آدم عليه السلام على ولده هابيل، ومنها بكاء السماوات والأرض على المؤمن اذا مات كما قال سبحانه : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾ . فقد ذكر السيوطي في الدر المنثور قوله اخرج الترمذي وابن ابي الدنيا في ذكر الموت وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن انس (رض) قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يصعد منه علمه وباب ينزل عليه رزقه فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ . وذكر

انهم لم يكونوا يعملون على وجه الارض عملاً صالحاً يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فنفقدتهم فنبكي عليهم^(٣٩). واخرج عبد بن حميد عن مجاهد (رض) قال : ان العالم اذا مات بكت عليه السماء والأرض اربعين صباحاً^(٤٠).

واخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : بكى آدم حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه احد، فلو ان بكاء جميع بني آدم مع بكاء داوود على خطيئته ما عدل بكاء آدم حين أُخرج من الجنة ومكث اربعين سنة لا يرفع رأسه الى السماء^(٤١).

وأخرج الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل واليهتمي في شعب الایمان والخطيب وابن عساكر معا في التاريخ عن بريدة يرفعه قال : لو ان بكاء داوود وبكاء جميع اهل الارض يعدل بكاء آدم ما عدله.

وكان آدم حين اهبط من الجنة بكى بكاء لم يبكه احد، فلو وضع بكاء داوود على خطيئته، وبكاء يعقوب على ابنه، وبكاء ابن آدم على اخيه حين قتله، ثم بكاء اهل الارض ما عدل ببكاء آدم عليه السلام حين أهبط^(٤٢).

يا ترى بعد كل هذا الا يكون البكاء على سيد شباب اهل الجنة الذي تفنن الجيش السفیانی الاموي بكيفية قتله وسحق جسده الطاهر ورض اضالعه وقطع رأسه الطاهر ورؤوس صحبه واهل بيته وحملها على الرماح وسبي نسائه واطفاله وهم اسارى مقيدون بالحبال ومعهم زين العابدين عليه السلام مريضاً مقيداً بسلاسل الحديد وامام كل هذا الركب الرؤوس الطاهرة مشرعة على الرماح مضمخة بدمائها واطفالهم ينظرون اليهم، الا يكون البكاء عليهم راجحاً مستحباً لا أنه جائزٌ فحسب؟

* هوامش البحث *

- (١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٧١ ح ٣٥٤٣ . سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٧ .
- (٢) صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٢٨ ، المستدرک علی الصحیحین . ج ٣ ص ١٩٤ ح ٤٨٢٠ .
- (٣) الصواعق المحرقة لابن حجر . ص ١٣٤ .
- (٤) نفس المصدر السابق .
- (٥) البحار ج ٢٢ ص ٢٧٤ .
- (٦) انظر الانوار النعمانية ص ٣٤١ و اللهوف ص ١٠١ وتذكرة الخواص ص ٤٩ نقلاً عن مقتل الحسين للمقرم . ص ٣٥٠ .
- (٧) حلية الاولياء . ج ١ ص ٣٥٥ .
- (٨) المستدرک علی الصحیحین . ج ٣ ص ١٩٤ ح ٤٨٢٠ .
- (٩) سورة الحديد : آية ٢٧ .
- (١٠) سورة مريم : آية ٥٨ .
- (١١) سورة البقرة : آية ٧٤ .
- (١٢) سورة يوسف : آية ٨٥ .
- (١٣) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ٤ ص ١٧٢٧ .
- (١٤) الاتقان ج ١ ص ٣٦٨ .
- (١٥) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ص ١٧٢٧ ، ولسان العرب ج ٧ ص ١٣٤ .
- (١٦) سورة يوسف : آية ٨٤ .
- (١٧) فتح القدير ج ٣ ص ٤٨ .
- (١٨) السيوطي ، تفسير الجلالين ج ١ ص ٣١٦ ، و الألويسي ، روح المعاني . ج ٣ ص ٤٠ و ص ٨٠ .
- (١٩) الطبري ، تفسير الطبري ج ١٣ ص ٣٠ ، والسيوطي ، الدر المنثور . ج ٤ ص ٥٠٧ .
- (٢٠) الطبري ، تفسير الطبري ج ١٣ ص ٣٢ ، و الألويسي ، روح المعاني . ج ١٣ ص ٤٠ .
- (٢١) تفسير الرازي في تفسيره . ج ٥ ص ٢٣٨ .

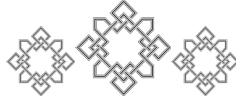
- (٢٢) الزمخشري، الكشاف. ج ٢ ص ٤٥٠، بهامش تفسير الطبري. ج ١٣ ص ٤٢.
- (٢٣) النيشابوري، تفسير النيشابوري. ج ١٣ ص ٤٤.
- (٢٤) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧، صحيح ابن ماجة ج ٣ ص ١٦٧، فضائل اصحاب النبي، والمستدرک علی الصحیحین. ج ١٣ ص ١٦٧، ومسنند احمد. ج ٣ ص ٦٢، ٦٣، ٨٢، خصائص النسائي. ص ٣٦.
- (٢٥) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٨٢ ج ٥ ص ١٤٩، وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٨٢، اللهوف للسيد ابن طاووس. ص ٢٠٩، مسكن الفؤاد. ص ١٠٠ الباب الرابع من البكاء.
- (٢٦) السيرة الحلبية. ج ١ ص ٤٦١، وقد ذكر هذا ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة بسنده عن جابر بن عبد الله (ره).
- (٢٧) الدر المنثور. ج ٢ ص ٤٧٦.
- (٢٨) شرح النهج لابن ابي الحديد. ص ٣٩٦.
- (٢٩) الاستيعاب. ج ١ ص ٣٧٤.
- (٣٠) صحيح البخاري. ج ٢ ص ٣٩٣ ح ١٣٠٣ وفي طبعة اخرى ج ١ ص ٤٢٠ ح ١١٨٩، وذكر البخاري كذلك ج ٣ ص ١١١٥ ح ٢٨٩٨، وفي مسند احمد. ج ٣ ص ١١٣، ١١٧، ومسنند ابي يعلى. ج ٧ ص ٢٠٢ ح ٤١٩٠.
- (٣١) الاستيعاب. ج ١ ص ٣١٢.
- (٣٢) المستدرک علی الصحیحین. ج ٤ ص ٤٣ ح ٦٨٢٥.
- (٣٣) سنن ابن ماجه. ج ١ ص ٥١٠.
- (٣٤) ارشاد الساري الهامش ٤/٣٢٤.
- (٣٥) شرح النووي، ارشاد الساري الهامش ٤ ص ٣٢٥.
- (٣٦) الاتقان ج ١ ص ٩٨، ج ٤ ص ٣٠٢.
- (٣٧) مسند احمد ج ١ ص ٣٣٥.
- (٣٨) اعلام النبوة ص ٨٣، الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٦٤ كامل الزيارات. ص ٦١.
- (٣٩) تاريخ واسط. ج ١ ص ١٦٦.

(٤٠) الدر المنثور ج ٧ ص ٤١١، لباب النقول. ج ١ ص ١٢٧.

(٤١) الدر المنثور ج ٧ ص ٤١٢.

(٤٣) الدر المنثور. ج ١ ص ١٤١.

(٤٤) الدر المنثور. ج ١ ص ١٣١.



أهمية الشعائر الحسينية وأدلتها العامة

السيد د. صلاح نصر الأعرجي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فلاشك أن للفقهاء والفقهاء أثراً عميقاً في حياة البشرية جمعاء، لما يحققه من حياة سعيدة ومطمئنة، فالفقه من حيث الأهمية والمكانة أشرف العلوم وأفضلها، وقد وردت به روايات كثيرة دالة على علو مرتبته وعظم منزلته، كيف لا؟! وهو برنامج الحياة المتكامل، وموجه أفعال وممارسات الإنسان على النحو الصحيح.

والقوانين التي صاغها الفقه الإسلامي من أرقى القوانين الضامنة للإنسان سعادته المطلقة، وتمنحه كامل الحقوق، وتعلمه وظائفه من الواجبات والمستحبات والمنهيات والمكروهات والمباحات، بصورة تعطي الحياة ذوقاً خاصاً؛ لذلك نجد تعاليم الشريعة الإسلامية تؤكد على التفقه في الدين، والحث على طلب العلم، من خلال النصوص الكثيرة الواردة بهذا الخصوص.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١).